## 

## وهم أم حقيقة تراجع إيران عن غطرستها النووية

العزلة الدبلوماسية ترغم طهران على العودة للتفاوض بشأن برنامجها النووي

> 🗩 لندن - منذ وقت طويل يقول منتقدو حملة العقوبات التي تفرضها إدارة الرئيس الأميركي دوناله ترامب ضد إيران، إن الجمهورية الإسلامية منيعة بالنسبة للضغط. ولكن هذا الزعم لم يكن له أي أساس قوي علي الإطلاق. إذ أن العزلة الدبلوماسية نتيجة فترة الضغط الطويلة، بالإضافة إلى العقوبات الاقتصادية التي أصابت إيران بالشكل، أرغمت حكّام طهران على بدء المفاوضات التي أدت إلى إبرام الاتفاق النووي عام 2015.

وُذكَـرتُ وكالة بلومبـرغ للأنباء في تقريس لها الجمعة، أنه كان هناك دليل أخر مؤخرا على قابلية خضوع إيران للضغط عندما تعهد النظام الإيراني بتوسيع نطاق تعاونه مع مفتشي الوكالــة الدولية للطاقة الذرية. وقد حاء هــذا التعهد مباشــرة بعــد أن انتقدت الوكالــة إيــران لعدم ســماحها بدخول موقعين يعتقد أنهما شهدا نشاطا نوويا

والأربعاء الماضي وأثناء زيارة قام بها لطهران، قال رافائيل ماريانو غروسي مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذريــة، إن النظام الإيرانــي وافق علىٰ السماح للمفتشين بتفقد الموقعين. ولم يذكر بيان مشترك موعد قيام المفتشين بهذه المهمة، لكنه ذكر أنه تم الاتفاق على

حتى البرنامج النووي الأكثر أهمية بالنسبة للنظام الإيراني أثبت أنه عرضة للتخريب، ويشهد على ذلك انفجار منشأة نطنز

وأتاح البيان لإيران فرصلة الزعم بأنها سَمحت بتفقد الموقعين "طواعية" ويبدو أن غروسي مال إلى عدم إثارة بعض تصرفات إيران التي كانت أكثر غموضا أثناء عمليات التفتيش السابقة. ففي أكتوبس الماضي زعمت إيران بصورة غريبة أن أحد مفتشي الوكالــة حــاول تهريب متفجــرات إلى داخل منشاة تخصيب اليورانيوم في نطنز. لكن غروسي يحتفظ رغم ذلك بحق إثارة هذا الموضوع في أي وقت

ومن ناحية أخرى لم يتضمن البيان المشترك ذكر أي مطالب من إيران تقدمت بها الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وقال يبيثه المبحاة عودته من طهران "إنه كان يمكنه تخيل تقديم مطالب جديدة إذا كان تم تقديمها مصحوبة بالمزيد من المعلومات عن نشاط مشبكوك فيه".

ومن الممكن أن تصل هذه المعلومات من المفتشين، أو ما تكشفه أجهزة المخابرات الأجنبية، ومن أبرزها

أجهزة الولايات المتحدة وإسرائيل، التي تتابع عن كثب البرنامج النووي

وأكد الرئيس الإيرانى حسن روحاني أن الاتفاق مع الوكالة أوضح أن "إيران على استعداد كما كانت دائمــا للتعاون عن كثب مــع الوكالة في إطار الضمانات". وهذا التفسير موجة لمجلس الأمن الدولي، حيث تسعى إدارة ترامب جاهدة لإعادة فرض عقوبات ما قبل اتفاق عام 2015.

ويأمل روحاني في أن تستغل الدول الأخرى الموقعة على الاتفاق النووي الإيراني تعاون طهران مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية لتعزيز موقفها ضد ما يسمى بالية "سناب باك"، أي العودة للوضع السابق.

لكنّ المراقبين الحذرين سوف يدركون أن إيران كانت مرغمة علىٰ هذا التعاون. وأوضح غروسي نفسه أن ما تم إعلانه كان "نتيجة حوار ممنهج اتسم بعدم التساهل"، وهو يعنى بطريقة دبلوماسية أنه كان حواراً صعبًا.

ولا شك أن إدارة ترامب سوف تفسر هذه النتيجة كحجة لإبقاء النظام الإيراني في حالة تقييد اقتصادي ودبلوماسي. وإذا ما لـم تنجح جهود إعادة فرض العقوبات الدولية، وهو الأمر المتوقع، من المرجح أن تقوم الولايات المتحدة بتشديد عقوباتها التي تهدف إلى معاقبة الشركات والأفراد الذين يسعون لممارسة نشاط تجاري مع

ومنذ وقت طويل قبل جائحة كورونا، عرقلت العقوبات الأميركية الاقتصاد الإيراني؛ وأدت أزمة فايروس كورونا إلىٰ تفاقم المعاناة.

وتقترب حصيلة الوفيات الرسمية مـن 20 ألف حالة وفــاة، ولكن بعتقد أن الرقـم الحقيقي هو ثلاثــة أضعاف هذا العدد. ولا يمكن حتى لأي فقاعة في سـوق الأسـهم الإيرانية إخفـاء الكابةً التى تعانى منها إيران.

والآن، فإن سعيد لايلاز وهو خبيس اقتصاد بارز في طهران زعم قبل عام مضيئ أن الاقتصاد الإيراني بدأ "يستقر"، يُقر بأن إيران لم تتعرض لمشل هذا الكم الهائل من الضغط منذ غرو المغول في القرن

وحتى البرنامج النووي الأكثر أهمية وقيمة بالنسية للنظام الإيراني أثبت أنه عرضة للتخريب، ويشسهد على الشبهر الماضي. ولا شبك أن غروسي يه كانوا يودون إلقاء ن

لاستغلال الاتفاق الجديد مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية كوسيلة للحصول علىٰ بعض الارتياح. ولكن لا يمكن إخفاء حقيقة أن الجمهورية الإسلامية واقعة





الأسلحة التي تلجأ إليها واشتنطن في التعامل مع الأزمات الإقليمية والدولية، ففي ظل تراجع تدخلاتها الخارجية باتتّ هذه الوسيلّة تحتل أولوية كبيرة، ــمل نوعين، أحدهما فــرض عقوب مباشرة على الخصوم والمنافسين، مثل إيران وكوريا الشمالية والصين وروسيا،

الأول كثيــرا، وبالــغ فــى التعويــل عليه كوسيلة مثلىٰ لتحقيق أهدافه، ولم يسرف هناك فتورا في العلاقة السياسية يمكن

وأكدت مجلة فورين بوليسي الأميركيــة الخميس أن وزيــر الخارجية مايك بومبيو وافق على خطة لوقف المساعدات التي تقدمها واشتنطن إلى إثنوبسا بقيمة 130 مليون دولار، ولم تحدد المجلة تفاصيل خفض المساعدات، غير أنها نقلت عن مساؤولين أميركيين وأعضاء في الكونغرس، أن الدعم المتوقف يشمل "مساعدات أمنية ومعونات لمكافحة الإرهاب والاتجار بالبشر وتطوير التعليم

سابق لها، بعد فشل وساطة واشتطن في ملف سـد النهضة في فبراير الماضي، إلى وجود اتجاه داخل الإدارة الأميركية لحجب بعض المساعدات عن إثيوبيا، وأن إدارة ترامب تدرس المسألة للتعبير عن رفض تعنت الأخيرة، ملمحة إلى أن الحجب قد يصل إلى حوالي 400 مليون دولار. وبصرف النظر عن القيمة المادية،

محمد أبوالفضل كاتب مصري

وافق على خطة لوقف مساعدات تقدمها بلاده لإثيوبيا إثر قضية سد

النهضة، في خطوة وصفها متابعون بمثابة عقاب سياسي هدفه ردع أديس

أبابا عن تعنتها في أزمة السد بإصرارها على ملئه بشتكل أحادى، كما

ترمى الخطوة إلى طمأنة القاهرة التي لجأت إليها كوسيط، وتؤكد الخطوة

والآخر حرمان الدول المقصودة من مزايا درجت واشتنطن على منحها لحلفائها، مثل مصر عندما اقتطع منها جزء من المساعدات المقدمة إليها، ثم أعيد عندما تحسنت معها العلاقات.

وهو ما يحدث مع إثيوبيا.

والتدريب العسكري". وأشارت فورين بوليسى في تقرير

فالمعاني الرمزية هنا مهمة، وترسل



و أصبحت العقوبات الأميركية أحد أهم

لجأ الرئيس دونالد ترامب إلى النوع في النوع الثاني، لأن استخدامه يشي بأن أن يتصاعد ملاً لم يتم احتواء أسبابه،

الأميركية بذلك أن دور واشتنطن لم ينته بعد في هذا الملف، وأن صمتها حياله كان هدفه منح فرصة للوساطة الأفريقية.

مجموعة من الرسائل إلىي كل من مصر وإثيوبيا، وأن دور أميركا لـم ينته بعد في ملف سد النهضة، وعدم تدخلها خلال الستة أشهر الماضية غرضه منح فرصة لوساطة الاتحاد الأفريقي، التي لم تحقق تقدما ملموسا حتى الآن.

## تواطؤ أم تهاون

د واشسنطن أن توفسي بوعودها للقاهرة التي لجأت إليها كوسيط أو طرف رابع في أزمة سد النهضة، لكنها لم تتمكن من القيام بالضغط المتوقع على أديس أبابا، أو تلوح بحجب ما تقدمه لها من مساعدات، ما حعل القاهرة تخفض من مستوى ثقتها في الإدارة الأميركية، وتقلل من رهانها على المكانية مساعدتها في سد النهضة، وتبحث عن بدائل أخرى. ظهر هذا المحدد في طرق القاهرة

لأبواب مختلفة غير الولايات المتحدة في أزمة السد، منها مجلس الأمن الدولي، وزيادة وتيرة الانفتاح على موسكو، وعندما أرادت واشتنطن التدخل في الأزمة الليبيـة بطـرح مبادرة لتحويل سـرت والجفرة إلى منطقة منزوعة السلاح لم تجد تعاونا كاملا من القاهرة، وبدأت تشعر بأن مصداقيتها لدى حلفائها في المنطقة يمكن أن تتأثر سلبا، إذا تواصل تقاعسها، واستمر ارتباكها في التعامل مع الأزمات الإقليمية.

رغم الطعنة التي تلقتها الولايات المتحدة من إثيوبيا في رفضها التوقيع علىٰ المسودة التي قدمتها في فبراير الماضي، تجنبت الإدارة الأميركية التلويح مباشرة بالضغط عليها، ما جعل واشتنطن تُتهم بالتواطؤ أو التهاون من قبل دوائر مصرية، وتعمل سرا على تشبحيع أديس أبابا لمواصلة تعنتها في المفاوضات، وبدت كأنها توفر شبكة أمان لها، أو منحتها ضوءا أخضر بأنها لن تتدخل لصالح القاهرة.

تعزز هذا الأمر عندما أقر مايك بومبيو في زيارته لأديس أبابا في فبراير الماضي بان المفاوضات يمكن أن تستغرق وقتاً طويلا، قبيل أيام قليلة من



وخزة أميركية لإجبار إثيوبيا على تنازلات

في أزمة سد النهضة

ومصالحها الإقليمية مع القاهرة

بعدها بدأت إثيوبيا تتمادى في مناوراتها والاعيبها، وتنتقل من مربع إلىٰ أخر، لتمنع القاهرة من ملاحقتها على المستويين الإقليمي والدولي، وبما أن الراعبي أو الوسيط الأميركبي الأول رفع يده عنها، فلدى إثيوبيا مساحة أكبر للتشيدد في مواقفها.

وجدت الولايات المتحدة أن الصمت على إثيوبيا قد يفقدها مصر، لأن قضايا المياه مصيرية، ولن تفرط الأخيرة في حقوقها، ويمكن أن تختل التوازنات التى تقيمها القاهرة بين القوى الكبرى بما يضير بمصالح واشتنطن في ملفات عديدة، وربما تنكاز لخصومها أحيانا فى اللحظات الفارقة.

وخصصت واشتنطن مليار دولار مساعدات لإثيوبيا منذ عام 2008، باعتبارها من الدول الصاعدة والتي مكن الاعتماد عليها لضبط الأوضاع على بوصلتها في شرق أفريقيا، وصعدت وهبطت هـذه القيمة مع تغير الإدارات . الأمدركية المتعاقبة، غير أنها حافظت على قوامها الرئيسي مع دولة تربطها علاقة خاصــة بها، وترى أنها واعدة، ويمكن أن

تتحول إلىٰ نموذج ليبرالي في المنطقة. يمثل المساس بهذه المساعدات بالصورة التى أعلنت عنها فورين بوليسي أخيراً نوعاً من العقاب السياسي، وهو ما فهمه جيدا رئيس وزراء إثيوبيا أبي أحمد، الذي لا يستطيع الانحياز تماما نحو الصين خوفا من عقاب أشد، ولن يستطيع تجاهل هذه الإشارة في توقيت بالغ الحساسية، حيث بدا قويا بالخطوة المنفردة للملء الأول لخزان السد، ويستعد لعبور المزيد من التحديات، اعتمادا على تجاهل واشتطن لردعه.

## تغير في المعادلات

سارع الرجل للذهاب إلى الخرطوم الثلاثاء الماضي في توقيت يزور فيه مايك بومبيو العاصمة السودانية، على أمل أن يتمكن عبدالله حمدوك رئيس وزراء السودان من تهيئة الأجواء للقاء بينهما، لكن بومبيو أنهي زيارته للخرطوم دون لقاء أبى أحمد، الذي فهم أنه لا تغيير متوقعا في الموقف الأميركي.

الأدهى أن بومبيو اتفق مع حمدوك على أن "تحقيق اتفاق مفيد بين السودان وإثيوبيا ومصر بشان ملء وتشغيل سد



رد أميركي قاس على المناورات الإثيوبية

للمفاوضات الحالية" تشعر أديس أبابا بالقلق، لأن واشنطن عازمة على استئناف دورها، ويمكن أن تستعيد نشاطها في الإمساك بالدفة في ظل فقدان الاتحاد الأفريقي القدرة على التعامل مع الأزمة، وعدم تمكنه من إبعادها عن التجاذبات التي دخلتها.

ممكن للتوصيل إلى نتيجة ناجحة

تفسس المرونة الظاهسة التي أبداها أبى أحمد في ملف السد خلال زيارته للخرّطوم، والخطاب الني تبناه، وهو أقل تشددا مما سبق، رغبته في عدم الصدام مع الولايات المتحدة، ولذلك ريما يبدي مرونة أكبر الفترة المقبلة، لأنه فهم المضمون الذي تنطوي عليه رسالة قطع جزء من المساعدات، حيث تعنى أنها قابلة للمزيد من القطع، ويمكن أن العلاقات المشتركة.

وزير الخارجية مايك بومبيو وافق على خطة لوقف المساعدات التى تقدمها واشنطن إلى إثيوبيا بقيمة 130 مليون دولار

يصعب على إثيوبيا أن تربح السد وتخسر أميركا، أو العكس، في هذا التوقيت الحرج، ويصعب أكثر أن تتجه نحو الصين أو روسيا، ففي ذلك انتحار لأبسى أحمد وطبقته السياسية، التي تعانى أزمات داخلية حادة. وليس أمامه سوى ممارسة سياسة استنزاف الوقت التي بحيدها، ويبدو كمن يريد التوصل إلى اتفاق عادل، ويتخلى عن التشدد الذي يلجأ إليه مع عدد من المسؤولين، كرسالة ثقة وثبات، خاصة أن السـودان يتسرب منه وينحاز لموقف مصر، على أمل أن تنشعل إدارة ترامب بانتخابات الرئاسة الأميركية، في نوفمبر المقبل.

تكمن المشكلة في أن مصر والسودان يعلمان جيدا هذه الحيل، ولن يسمحا بالمزيد من المماطلات، وإذا لم يتم التوقيع على اتفاق مُلزم قريبا، قد يتعرض أبي أحمد لضغوط من جهات متباينة، تجبره على الانصياع، لذلك يبحث الآن عن صيغة مناسبة تخرجه من دوامة تتشابك فيها المكونات الداخلية مع الإقليمية والدولية، ليفلت من التداعيات التي يحملها العقاب الأميركي المحدود.



العقوبات تخنق النظام الإيراني